

تفسير البحر المحيط

@ 433 @ الدخول علينا في هذه الساعة إلاّ بإذن . ثم انطلق إلى الرسول فوجد هذه الآية قد نزلت فخرّ ساجداً . وقيل : نزلت في أسماء بنت أبي مرثد قيل : دخل عليها غلام لها كبير في وقت كرهت دخوله ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم (فقالت : إن خدمنا وغلماننا يدخلون علينا حالاً نكرها . .

{ لَيْسَ تَأْذَنُكُمْ } أمر والظاهر حمله على الوجوب والجمهور على النذب . وقيل : ينسخ ذلك إذ صار للبيوت أبواب روي ذلك عن ابن عباس وابن المسيب والظاهر عموم { الذّين مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ } في العبيد والإماء دون العبيد . { وَالذّينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ } عام في الأطفال عبيد كانوا أو أحراراً . وقرأ الحسن وأبو عمر وفي رواية وطلحة { الْحُلُمَ مِنْكُمْ } بسكون اللام وهي لغة تميم . وقيل { مِنْكُمْ } أي من الأحرار ذكورا كانوا أو إناثاً . والظاهر من قوله { ثَلَاثَ مَرَّاتٍ } ثلاث استئذانات لأنك إذا ضربت ثلاث مرات لا يفهم منه إلاّ ثلاث ضربات ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام : (الاستئذان ثلاث) والذي عليه الجمهور أن معنى { ثَلَاثَ مَرَّاتٍ } ثلاث أوقات وجعلوا ما بعده من ذكر تلك الأوقات تفسيراً لقوله { ثَلَاثَ مَرَّاتٍ } ولا يتعين ذلك بل تبقى { ثَلَاثَ مَرَّاتٍ } على مدلولها . .

{ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ } لأنه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة وقد ينكشف النائم . { وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظَّهِيرَةِ } لأنه وقت وضع الثياب للقائلة لأن النهار إذ ذاك يشتد حره في ذلك الوقت . و { مِّن } في { مِّنَ الظَّهِيرَةِ } قال أبو البقاء : لبيان الجنس أي حين ذلك هو الظهيرة ، قال : أو بمعنى من أجل حر الظهيرة و { حِينَ } معطوف على موضع { مِّن قَبْلِ } { وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ } لأنه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم { ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ } سمى كل واحد منها عورة لأن الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها ، والعورة الخل ومنه أعور الفارس وأعور المكان ، والأعور المختل العين . وقرأ حمزة والكسائي { ثَلَاثٍ } بالنصب قالوا : بدل من { ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ } وقدره الحوفي والزمخشري وأبو البقاء أوقات { ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ } وقال ابن عطية : إنما يصح يعني البديل بتقدير أوقات { عَوْرَاتٍ } فحذف المضاف وقيم المضاف إليه مقامه . وقرأ باقي السبعة بالرفع أي هن { ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ } وقرأ الأعمش { عَوْرَاتٍ } بفتح الواو وتقدم أنها لغة هذيل بن مدركة وبني تميم وعلى رفع { ثَلَاثٍ } . .

قال الزمخشري : يكون { لَيْسَ عِلَايَكُمْ } الجملة في محل رفع على الوصف والمعنى هن { ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ } مخصوصة بالاستئذان ، وإذا نصبت لم يكن له محل وكان كلاماً مقراً بالاستئذان في تلك الأحوال خاصة . .

{ بَعْدَهُنَّ } أي بعد استئذانهم فيهن حذف الفاعل وحرف الجر بفي بعد استئذانهن ثم حذف المصدر وقيل { لَيْسَ } على العبيد والإماء ومن لم يبلغ الحلم في الدخول { عِلَايَكُمْ } بغير استئذان { جُنَاحٌ } بعد هذه الأوقات الثلاث { طَوْفُونَ عِلَايَكُمْ } يمشون ويحيؤون وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره هم { طَوْفُونَ } أي المماليك والصغار { طَوْفُونَ عِلَايَكُمْ } أي يدخلون عليكم في المنازل غدوة وعشية بغير إذن إلا في تلك الأوقات . وجوزوا في { بَعْدَكُمْ عِلَايَ بَعْضٍ } أن يكون مبتدأ وخبراً لكن الجر قدره طائف على بعض وهو كون مخصوص فلا يجوز حذفه . قال الزمخشري : وحذف لأن طوافون يدل عليه وأن يكون مرفوعاً بفعل محذوف تقديره يطوف بعضكم . وقال ابن عطية { بَعْدَكُمْ } بدل من قوله { طَوْفُونَ } ولا يصح لأنه إن أراد بدلاً من { طَوْفُونَ } نفسه فلا يجوز لأنه يصير التقدير هم { بَعْدَكُمْ عِلَايَ بَعْضٍ } وهذا معنى لا يصح . وإن جعلته بدلاً من الضمير في { طَوْفُونَ } فلا يصح أيضاً إن قدر الضمير ضمير غيبة لتقدير المبتدأ هم لأنه يصير التقدير هم يطوف { بَعْدَكُمْ عِلَايَ بَعْضٍ } وهو لا يصح . فإن جعلت التقدير أنتم يطوف { عِلَايَكُمْ بَعْدَكُمْ عِلَايَ بَعْضٍ } فيدفعه أن قوله { عِلَايَكُمْ } بدل على أنهم هم المطوف عليهم ، وأنتم طوافون ، يدل على أنهم طائفون فتعارضاً . وقرأ ابن أبي عبله طوافين بالنصب على الحال من ضمير { عِلَايَهُمْ } . وقال الحسن : إذا بات الرجل خادمه معه فلا استئذان عليه ولا في هذه الأوقات الثلاثة . .

{ وَإِذَا بَلَغَ الْإِطْفَالُ } أي من أولادكم وأقربائكم { فَلَايَسْتَأْذِنُوا } أي في كل الأوقات فإنهم قبل البلوغ كانوا يستأذنون في ثلاث الأوقات . { كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنَ الْقَبِيلَةِ } يعني البالغين . وقيل : الكبار من أولاد الرجل وأقربائه . ودل ذلك على أن الابن والأخ البالغين كالأجنبي في ذلك وتكلموا هنا